مجلة الدراسات التاريخية
مجلد24 العدد 01 السنة 2024 ص ص390/363
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

حملة الأمير عبد القادر على عين ماضي

قراءة في الأسباب والنتائج

Prince Abdul Qader campaign on Ain Madhi
Read the causes and consequences

د- كعبوش بومدين [1]
[1] جامعة عمار ثليجي – الأغواط
bo.kaabouche@lagh-univ.dz

د- بوركنة علي [2]
[2] جامعة عمار ثليجي – الأغواط
bouraknaali3@gmail.com

تاريخ الاستلام: 11 / 08/ 22
تاريخ القبول: 15 / 01/ 24

Abstract:

The relationship between Prince Abd al-Qadir and the Tijani method is one of the episodes of the conflict between the two parties and opened a window for historians to deal with it according to certain methods, and according to what was available to him of source texts and archival documents, and this study works on building incidents according to temporal and spatial specificities, and historical approaches.

Keywords:
Prince Abdul Qadir, Ain Madhi, Muhammad Habib Tijani, Tidjani Way.

الملخص:

تعتبر العلاقة بين الأمير عبد القادر والطريقة التجانية حلقة من حلقات الصراع بين الطرفين، فتحت نافذة أمام المؤرخين، كلٌ يتناولها وفق مناهج معينة، وبحسب ما توفرت له من نصوص مصدرية ووثائق أرشيفية، وهذه الدراسة تعمل على بناء الحوادث وفق الخصوصيات الزمانية والمكانية، والمقاربات التاريخية.

الكلمات الدالة.

الأمير عبد القادر، عين ماضي، محمد الحبيب التجاني، الطريقة التجانية.

مقدمة

عمل الأمير عبد القادر في إطار مشروعه ببناء الدولة الحديثة على تكييف التوازنات الداخلية والخارجية، وهذه السياسية سرعت في صدامه مع عدة جبهات رسمية وغير رسمية ومنها الطريقة التجانية بعين ماضي، التي كانت تعمل على التموقع في عموم جغرافية التل والصحراء مستفيدة من ثقلها الروحي وفكرها الصوفي المجدد.

فما أسباب حصار الأمير لعين ماضي وماهي أبعاده ونتائجه في ظل التوازنات القائمة؟

عمل الأمير عبد القادر منذ سنة 1832 على استقطاب جميع القبائل لتدعيم نفوذه وحرص على استمالة القبائل الصحراوية قبل وصول النفوذ الفرنسي لها[1]، وقضت استراتجيته على تقسم المناطق الواقعة تحت سيطرته إلى ثماني ولايات؛ ومن بينها الأغواط[2]، وعين على رأس كل ولاية حاكما سماه الخليفة، واتضحت سياسته الصحراوية جلياً منذ سنة 1836 فعين الحاج العربي بن الحاج عيسى خليفة له على إقليم الأغواط،[3] ذلك أن هذه المنطقة فبالنسبة للأمير كانت تكتسي أهمية تجارية وسياسية إلى جانب الأهمية الروحية لمدينة عين ماضي حاضرة الطريقة التجانية[4].

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

1/ تعيين الأمير للعربي بن الحاج عيسى كخليفة على الأغواط:

ينتمي الحاج العربي إلى أولاد سرغين وهو ينحدر من سلالة المرابط سيدي الحاج عيسى وكان على خلاف مع أحمد بن سالم زعيم الأحلاف وحاكم الأغواط حول بعض الممتلكات مما جعله يُطرد بإذلال من الأغواط، فاتجه نحو زنينة (الإدريسية حاليا)، وقد صادف ذلك زيارة الأمير إلى النواحي الجنوبية لتنظيم دولته ،فاقترح الحاج العربي على الأمير عبد القادر أن يساعده في أن يصبح خليفة على الصحراء، وقد ضمن له الحاج العربي مقابل ذلك أن يكون له يداً على خصومه في المنطقة، مع ضمان وفاء أهل المنطقة ومساندتهم له في قضيته وذلك أنهم يثقون في طبقة المرابطين الموجودة في الجنوب، بالإضافة إلى تقوية جيشه بمقاتلين جدد من حلفائه، وقد أقبل على الأمير أثناء تواجده بذات المناطق وفود الاغواط وطلبوا منه أن يولي عليهم من يقودهم ويضبط أمور بلادهم، فعين الأمير الحاج العربي خليفة عليهم، وبدأ الأمير بحجز القوافل التابعة لبني الأغواط والأرباع، ولا يقوم بتحريرها إلا بعد دفع فدية عالية[5]، وأصدر بهذا الشان مرسوما مؤرخا بتاريخ 1254 هـ الموافق ل 1838م يؤكد ماسبق، حيث جاء في " تحفة الزائر "ما نصه : "..فوفدت عليه وفود الأغواط و قدموا طاعتهم، فتقبلهم، وأكرم وفادتهم و أفاض عليهم من إحساسه - ما استعبدهم، ثم إنهم أخبروه بأحوال بلادهم و أوقفوه على ما عليه عشائرهم وبطونهم من الطاعة له، و طلبوا منه أن يولي عليهم من يسوسهم و يضبط بلادهم، فأجابهم إلى ما طلبوه وولي عليهم السيد الحاج العربي بن السيد الحاج عيسى اللغواطي المشهور فيهم..."[6] وعينه كخليفة له على كل من الأغواط بمقتضى المرسوم التالي:

"هذا ظهير شريف، يتضمن الترغيب في جمع كلمة الرعية، والترهيب من السعي في تفريق الجماعة والدعاء إلى التمسك بأوامرنا المطاعة، أصدرناه للمكرم

المحترم، السيد الحاج العربي اللغواطي و ذلك أنه لما تقرر لدينا فضله و عدله، رأينا أنه أحق من نقلده الأمر الأكيد، و نرمي به الغرض البعيد ونستفسر به أحوال الرعية حتى أنه لا يغيب عنا شيء من أحوالها ولا يخفى علينا ما يتجسمها من طارق أهواها و ينهي إلينا جميع ما يحدث فيها إنهاء يتكفل بجلانها و دقائقها، و جعلناه نائبا عنا و خليفة لنا، في قبائل الأغواط: الغرابة والشراقة، ومن إليهم من القبائل الصحراوية في الجهات الجنوبية، فيجمع سائر وجودها وأعيانها، ويخبرهم بأمرنا هذا، ويتلو عليهم ما قلدناه به. ويقرر لديهم: وجوب طاعته - و لزوم أتباعه، والإذعان لأوامره ونواهيه وقد عينا له من العسكر النظامي، ما يتوصل به إلى تقرير الأحكام وجباية الأموال و قهر الظالم و الأخذ بيد المظلوم، هذا، مع ما نعتمد عليه، من انقياد رعيتنا للأحكام الشرعية، والأوامر المرعية، ولذلك لم نبالغ بالاستنكار من العسكر، لخدمة خليفتنا المذكور فكونوا أيها الناس - لأمره، السالك فيه على جادة الحق و العدل، سامعين ولكلمته مطيعين، واعلموا أن من نكث فإنما ينكث على نفسه، والله ولي المتقين.

حرر عن إذن مولانا، ناصر الدين، عبد القادر بن محي الدين، في سنة أربع وخمسين ومائتين 1254هـ و ثمان و ثلاثين وثمانمائة 1838م "[7].

فور صدور هذا المرسوم وصل الولاء من عدة قبائل للحاج العربي من قوم الأحرار و أولاد خليف و أولاد شايب و الآغا جلول آغا جبال العمور وقد اجتمع بهم في قرية سيدي بوزيد، كما وصله كذلك ولاء شيخ الزاوية التجانية بعين ماضي سيدي محمد الحبيب[8].

إن هذا المرسوم وما يحمله من أومر صارمة بوجوب الطاعة لخليفة الأمير يعتبر موقفا استفزازيا معاديا لكل من الشيخ محمد الحبيب التجاني وأحمد بن سالم بل يعد تدخلا في مجال نفوذهما وهذا ما سوف تظهره الأحداث بعد ذلك ،

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ويكمن جوهر الخلاف في تعيين الحاج العربي خليفة على الأغواط بدلا من أحمد بن معمر المعروف بأحمد بن سالم بعد أن نصبه أهل الأغواط خليفة عليهم، حيث استطاع توحيد الصفين المتنازعين بالمدينة الأحلاف وأولاد سرغين، وكان أحمد بن سالم مقدما في الطريقة التجانية وحليفا للشيخ محمد الحبيب التجاني، وصار خليفة بعدما تزوج بنت الشيخ أحمد بن لخضر شيخ أولاد سرغين كما أسلفنا، فالأغواط غدت منقسمة بين النفوذ السياسي لأحمد بن سالم والنفوذ الروحي للحاج العربي،[9] وبهذا وجد الحاج العربي في هذا المنصب مطية للانتقام من خصومه، لاسيما الطريقة التجانية التي تقف في صف قبائل الأغواط الغرابة و تقدم الدعم المعنوي لمنافسه أحمد بن سالم، و من ثمة يمكننا القول أن الحاج العربي لم يعلن طاعته للأمير عبد القادر حبا في الجهاد، بقدر ما كان يهدف إلى استرجاع نفوذه الضائع[10]. الى جانب ذلك يمكن القول أن الأمير عبد القادر لم يكن عارفاً بشبكة العلاقات الاجتماعية القائمة في المنطقة ولم يكن ملما بخلفيات الصراع، غير أن هناك عاملا آخر من الممكن أن يكون سبباً في توليته للعربي بن الحاج عيسى التي كان يضمر العداء للطريقة التجانية ورجالها، وهو الصراع الروحي على الزعامة بين الطريقة التجانية والقادرية، إلى جانب أن الأمير وظف الصراع التاريخي بينهما أيام محمد الكبير، الذي سيطر على سهل غريس لصالحه قبل تدخل السلطة العثمانية سنة 1826م.

ومهما يكن من أمر فقد أمد الأمير خليفته بالسلاح والذخيرة ، مع سبعين جنديا من جنود الأمير ليكونوا حرسا عليه حيث سار بهم إلى الأغواط وخيم على الضفة اليمنى لوادي مزي ما بين رأس العيون و البساتين، فانحاز إليه أولاد سرغين ثم تبعهم الأرباع[11]، بينما رفض الأحلاف الاعتراف به إلا أنهم بعد الضغط استسلموا

للأمر الواقع، بينما فضل أحمد بن سالم الانسحاب مع جماعته إلى قصر الحيران بعض الوقت واتجهوا نحو زوج ابنته بن ناصر بن شهرة قائد الأرباع، ولكنه شعر بانعدام الأمن فخاف على نفسه وفر إلى بني يزقن (عند بني ميزاب)[12].

خلال هذه الفترة كان بن ناصر بن شهرة جنديا في صفوف جيش الأمير عبد القادر وقد حظي بثقة الأمير فعينه نائبا مكلفا بقيادة الجند، وشارك معه في الكثير من المعارك، إضافة إلى استقباله لرسائل الأمير السرية التي كان يبعث بها إلى القبائل و منها قبيلة الأرباع يحضهم فيها على رفع لواء الجهاد و تعزيز جيشه بالفرسان و من بين هذه الرسائل رسالة يقول فيها الأمير:" نريد معلومات عن نجعكم و خيامكم ووضعية الأمن بها، كما كان ابن ناصر ابن شهرة يسير القوافل لجلب الدعم والتأييد من مختلف القبائل[13].

هذه العوامل سرعت في تغيير موازين القوي لصالح الأمير عبد القادر وحليفه على الأغواط، بعد انحسار نفود أحمد بن سالم ومن معه، لتدخل المنطقة في حلقة أخرى من حلقات الصراع بين الطريقة القادرية ممثلة في الأمير عبد القادر، وسيدي محمد الحبيب شيخ الطريقة التجانية.

2/ حملة الأمير عبد القادر على عين ماضي:

أ) أسبابها:

خلال سنة 1838م عزم الأمير على تنظيم الدولة لمواصلة الجهاد وذلك بتنظيم صفوفه و توسيع مجال سلطته ونفوذه وإدراكا منه لأهمية الصحراء باعتبارها نقطة ارتكاز هامة للمقاومة فضلا عن كونها موردا هاما من الذخيرة و الرجال، لذا حرص على إدخالها تحت نفوذه ودعم خليفته الحاج العربي وعزم على جعل عين ماضي قاعدة متقدمة له، وقد راسل الأمير للشيخ الزاوية التجانية أثناء وجود الأول بالمدية

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وبرج حمزة وأخبره أنه قادم للقيام بنفس التنظيمات التي أجراها هناك، ولكنه وجد معارضة من طرف بعض أعيان الأغواط وعلى رأسهم أحمد بن سالم والشيخ سيدي محمد الصغير التجاني[14].

فالشيخ التجاني في نظر الأمير قد رفض الخضوع وامتنع عن أداء الطاعة وجاهر بالعصيان ولم يقدم المساعدة الشرعية للجهاد المقدس، بل أكثر من ذلك تحالف مع أحمد بن سالم على محاربة الأمير خاصة بعد أن اتصل الأمير بسيدي محمد الحبيب سنة 1836 وربما قبل ذلك محاولا ضم الطريقة التجانية لسلطته، غير أن العامل الطرقي لعب دورا كبيرا في هذا الخلاف، فكل طرف يرى في الآخر على أنه زعيم طريقة يريد نشرها و توسيع نفوذها ، كما اعتقد الأمير بأن القوة وحدها كفيلة بحل هذا الخلاف ، في حين أن الشيخ التجاني لم يجب على رسائل ودعوات الأمير باعتبارها حطا من قيمته وقد ذكر الأمير أنه قد اطلع على رسائل بخط التجاني إلى بعض أهل الأغواط يذكر فيها أنه خليفة الله في أرضه.[15]

وقد علق الأمير في رسالة عن تظاهر التجاني بالولاء، قائلا: "... كيف لا يسوغ لي قتاله و قد كاتبته مرتين على أداة الزكاة فأبى حتى من رد الكتاب... و إن بلغت توبته حيث كنت بالمدية..."[16]، وهذا ما يدل أن الأمير لم يكن يثق في الشيخ محمد الحبيب التجاني، خاصة بعد أن بلغه أن هذا الأخير، يقوم باستعدادات تحسبا لأي هجوم من قبل الأمير مما أثار غضب الأمير، ولاشك أن الوشاة كان لهم نصيب في زرع الشكوك بين الأمير والشيخ التجاني إلى درجة أن أصبح كل واحد يتوعد الأخر، حيث راح الحاج العربي يحث الأمير على وجوب تأديب وإخضاع عين ماضي بالقوة ، بل أوهم الأمير بأنه يكفي حضوره الشخصي لتسلم له المدينة، و أن قبائل المنطقة ستكون موالية له[17].

ولكن ظهر فيما بعد أن هذا الخليفة لم يف بكلامه والتزاماته، فهو لم يستطع أن يوفر للأمير سوى 120 فارسا، كما اتضح جليا أن قبائل الأغواط لم تكن موالية للأمير وعن موقفه هذا يقول تشرتشل: ".. و لم يفد الحاج عيسى بأي شيء و تبين أنه لم يكن أكثر من محتال.."[18]

ويبدوا أن الأمير قد عمل على قطع كل صلات التقارب الممكنة بين الشيخ محمد الحبيب وسلطان المغرب الأقصى الذي قد يلجأ له أمام الظروف، وهذا بعدما بعث الأمير بأخيه محمد السعيد للبلاط العلوى وسلطانه مولاي عبد الرحمن بالهدايا والثناء على الجهود المبذولة من المغرب وعلمائه قصد تدعيم جبهة الأمير عبد القادر بالفتاوي والرسائل التي تدعمه ضد المحتل، غير أن رسل الأمير هذه المرة كانت تعمل على قطع العلاقات المغربية و الشيخ محمد الحيبب التجاني .

وقد برر الأمير من خلال رسالة منسوبة إليه [19] حملته على عين ماضي بمجموعة من الأسباب من بينها: أن التجاني كاتبه إلى تاكدمت و حذره من القدوم إلى الصحراء و هدده بمحاربته إن هو فعل ذلك، إلى جانب رفضه أن يدفع الزكاة له رغم أنه كاتبه على ذلك مرتين إلى عين ماضي و رفض حتى الإجابة على رسائله وتخلف التجاني عن البيعة "اللازمة " له شرعا حسب قول الأمير.[20]

كما بعث برسائل أخرى لخلفائه ووكلائه أطلعهم فيها على مبررات الحصار ونتائجه منها تلك الرسالة التي بعثها إلى وكيله بوهران الحاج الطيب: استهلها بقوله: " إن الله تعالى قد حملنا مسؤولية النظر في صلاح المسلمين وتوجيه أهل هذه البلاد إلى شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لقد توجهنا إلى الصحراء لا للإضرار بالمسلمين الحقيقين ولا لإخضاعهم وتخريبهم ولكن لإيقاظ إيمانهم وجمع شملهم وإقامة النظام بينهم ..." .[21]

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

من جهته حاول الشيخ التجاني انتهاج سياسة الحفاظ على الوضع القائم الموروث عن العهد العثماني، وهو الحفاظ على نفوذه و استقلاله في منطقة الجنوب، وإبعاد السلطة المركزية ومتطلباتها عن مناطقه، و في نفس الوقت تحاشي الصراع مع الأمير، ومساعدته بما يحتاجه من مال ورجال في قتاله للفرنسيين، و هذه السياسة تتماشى ووصية أبيه المؤسس للطريقة التجانية، التي تنص على تجنب ملاقاة السلاطين ورجال المخزن، ولتنفيذ هذه السياسة نجد أن محمد الصغير لا يمانع في إرسال الهدايا والإعانات للأمير، ويحرص على المسالمة، ولكن في نفس الوقت يسعى إلى تجنب لقاء الأمير.[22]

ويذكر أحمد بن عاشور السمغوني أن أهل عين ماضي قدموا بعض الإعانات منها: مائة و إحدى و ثلاثين ناقة و ألف دورو و مائتي خروف، و حصانا وخادما من عند الأرباع، كما قدم أولاد سيدي زيان، وهم العائلة الثانية في عين ماضي، مائة ناقة و ألف دورو و رأسين من الغنم و مائة خروف، في حين دفع أولاد سيدي ابراهيم كلهم من عين ماضي ستين ناقة، كما أخرج محمد الصغير على أهل عين ماضي 12 ألف ريال و فرس و خادمين سنة 1839م، وهذه المساعدة التي قدمها الشيخ التجاني للأمير و المقدرة ب 11 ألف بودجو و هي أكبر قيمة من كل تلك التي ساهمت بها كل قبائل الأغواط.[23]

وحدث في أفريل 1838م، أن استولى رجال الأمير على قطيع إبل للتجاني المقدر ب 300 رأس، فاغتنم التجاني هذه الحادثة ليرسل وفدا للأمير وهو بالمدية يعلن له الولاء و يحمل له الهدايا و يناشده الأمان، ويبرر له عدم قدرته على تقديم

الدعم البشري و السياسي، وطالبه بإعادة قطيعه، لكن الأمير رفض إعادة قطيع الإبل، حيث اعتبره دعما للجهاد، و في مقابل ذلك أعطاه الأمان [24].

وبالإضافة إلى هذه الأسباب الذاتية للصدام بين الطرفين، توجد أسباب موضوعية لعل من أهمها طبيعة المجتمع الجزائري نفسه في تلك الفترة، حيث تقاسمته وحدات نفوذية قائمة على القبلية والطرقية والعائلات الأرستقراطية، حيث نجد على رأس كل وحدة شيخا عادة ما يستمد نفوذه من قوة وحجم تلك القبيلة، أو من مكانته الدينية كمرابط أو شيخ زاوية ما.

إلى جانب ذلك نجد أن الصراع الطرقي على مجالات النفوذ يتجذر أكثر من أي وقت مضى، حيث كانت الطرقية تسيطر على الحياة اليومية للأفراد والجماعات ويمتد في معظم الأحيان نفوذها إلى خارج إطار القبيلة، ولهذا فقد جاءت مقاومتها للاحتلال الفرنسي على هذا النسق، متناقضة ومتعاكسة الاتجاه ومستقلة من حيث الزمان والمكان فيما بينها، فهي لا تتحرك إلا إذا طرق العدو حدود نفوذها ومست مصالحها.[25]

فقد كان الأمير ومنذ مبايعته في الجهة الغربية، يطمح إلى بناء دولة حديثة قائمة على مؤسسات شرعية تنصهر فيها جميع الوحدات القبلية والدينية على غرار ما هي عليه الدول الحديثة، وكان أمام الأمير تحديان هما: إقناع بقية الجهات الأخرى من الوطن للحصول على الشرعية، وإيقاف زحف الاحتلال الفرنسي نحو المناطق الداخلية، في حين أن الكيانات القبلية والطرقية وخاصة التجانية تمتعت منذ زمن بعيد باستقلالية تجعلها تمتنع عن الخضوع لهذا السلطان الجديد، وهي التي حاربت السلطة العثمانية طويلا لأجل تثبيت نفوذها وكيانها، ومن هنا وجد الاستعمار الفرنسي المدخل لتوسيع الهوة بين الطرفين.[26]

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ب) ميزان القوة بين الأمير، والشيخ محمد الحبيب التجاني:

بعد أن يئس الأمير عبد القادر في إمكانية التفاهم مع التجاني تحركت قواته يوم 27 ماي 1838م إلى تاقدامت التي كانت تمثل مركزا من مراكزه العسكرية حيث التقى برؤساء الفرق والقبائل التي ستشارك في هذه الحملة، من بينهم أولاد مختار تحت قيادة الآغا بن عودة، أولاد شايب تحت قيادة الآغا جديد بن يوسف، أولاد خليف بزعامة الأغا الخروبي والأحرار يقودهم الآغا جلول، بالإضافة إلى قبيلة الحشم، على أن تنظم قبائل أخرى أثناء المسير إلى عين ماضي[27].

تحرك الأمير نحو عين ماضي في 18 ربيع الأول 1254هـ الموافق 12 جوان 1838م نحو قصر عين ماضي مقر الطريقة التجانية على رأس جيش بلغ تعداده ستة ألاف من الخيالة و ثلاثة ألاف من المشاة و ثلاث مدافع ميدان و ستة مدافع هاون ،[28] وقد تضاربت حوله الروايات من حيث العدد و العدة، ففي حين جاء في " تحفة الزائر " أن هذا الجيش شكل من 6000 خيالة، 3000 مشاة، 3 مدافع، 6 مدافع هاون[29] أما سانت أرنو (Arnaud .St)، فقد ذكر أن 2000 فارس جاؤوا مع الأمير منهم 200 نظامي ومدفعين و 30 مدفعي و 110 قذيفة، 60 قنبلة، و 1000 مشاة كانوا تحت قيادة 04 أغوات، بالإضافة إلى مشاركة 04 قبائل من أولاد نايل :(أولاد سيدي محمد ب 100 فارس، أولاد يحي بن سالم ب 15 فارس، أولاد عيسى با 30 فارس،أولاد ساعد بن سالم بـ 10 فارس) إلى جانب مشاركة أولاد سيدي الشيخ بن الدين بـ 80 فارس و قبائل جبل عمور بـ 60 فارس و أولاد فراج (بوسعادة) بـ 20 فارس وحجاج (الأغواط) بـ 40 فارس، بمجموع كلي يقدر ب 3585 فارسا ومدفعين إلا أن هذا العدد ارتفع فيما بعد إلى 8000 رجل[30]، ولعل هذا الاختلاف في

تقدير قوة الأمير، مرده في نظرنا إلى كون المصدر الثاني قد ذكر العدد الإجمالي بما فيه الإمدادات التي وصلت إلى الأمير أثناء الحصار.

وصل الأمير إلى عين ماضي بتاريخ 22 جوان 1838مفاجئا الشيخ التجاني الذي اندهش لضخامة هذه القوة و لم يكن مستعدا للمواجهة و لم تبلغ قواته سوى 166 رجلا من الأحلاف و أولاد سرغين تحت قيادة يحي بن سالم و 170 من أولاد صالح (الأرباع) و 17 من سكان الغيشة و 20 من قصر تاجموت (3) و 22من قصر الحويطة و 15 من الزنوج و قدرت قواته بحوالي 710 رجل .[31]

بدأ الأمير حصاره في شهر جوان وكانت عين ماضي محصنة غاية التحصين وقد عانى الأمير بسبب ذلك، بالإضافة إلى أن الشيخ التجاني قد جاءته نجدة من أحمد بن سالم إذ بعث هذا الأخير بأخيه يحي بن معمر على رأس قوة من بني الأغواط والأرباع لمساندته مع وصول مساندين من ورقلة وبني ميزاب.[32]

ج) حصار عين ماضي:

واصل الأمير سيره إلى عين ماضي عبر مراحل، وأرسل كاتبه ليون روش المدعو عمر[33] على رأس عشرين فارسا، لإبلاغ التجاني، على أن الأمير لا ينوي من هذه الحملة سوى جمع الكلمة وتوحيد صفوف المسلمين، وأنه لا يستمر في الرحلة إذا ما قبل التجاني المجيء لمقابلته، و في الوقت نفسه كان التجاني قد بعث بوفد إلى الأمير عند وصوله إلى سيدي بوزيد، يستفسرونه عن وجهته، وإن كانت عين ماضي، فما الجدوى من محاربة التجاني و أهل عين ماضي، لا يملكون سوى الحجارة والرمال، وذكروه بالأمان الذي منحه لأهل عين ماضي، لما قابلوه في المدية.[34]

لم يعبأ الأمير بوفدي التجاني، ورد عليهم بأنه في جولة إلى البلاد التي منحه الله ملكها، وراح ليون روش مبعوث الأمير يتباهى بحصانة قصر عين ماضي ويندهش

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

أمام أسواره، وحتى يوهم التجاني بقوته و يزيده إصرارا، قال له " أن قصرك صعب المنال وسيكون قوة رهيبة أمام الأمير " و في نفس الوقت تراه يستفز التجاني على لسان الأمير ويحذره بأن هذا الأخير سيحاصر القصر ولو عشر سنوات، ثم عاد إلى الأمير و أخبره عن إصرار التجاني على المقاومة وأنه لا أمل في الاتفاق معه إلا بالقوة، وقد برر محمد الحبيب رفضه مقابلة الأمير وعدم السماح له بدخول عين ماضي بقوله : " ليعلم سيدكم أنني لست ثائرا، ولا عدوا لكن صاحب طريقة لا تهتم إلا بالأمور الأخروية، وأريد تفادي كل علاقة مع أمراء الأرض، و أؤكد من جديد نوايانا السلمية، لكن إذا ما أراد السلطان مقابلتي عليه أن يخترق جدران مدينتي و يشق صدور خدمي".[35]

وبهذا فقد اعتبر التجاني مقابلته للأمير مخالفة لوصية أبيه، وعليه فقد زحف الأمير على عين ماضي بعد أن أخذ استراحة يوميين في جبل عمور، ووصل إلى مقربة من عين ماضي في 26 جوان 1837.

ويذكر "أرنو" أن التجاني خصص للأمير عند وصوله، استقبالا خاصا بالضيافة وإن لم يخرج شخصيا لاستقباله، فأوفد إليه الأمير بعض الفرسان من الأحرار يطلبون منه الخروج للأمير للتحدث عن أمور الدين و الجهاد، فرد عليهم أن كل ما يمكن أن يقدمه فقد أعطاه و ليس شيء آخر، أما مسألة المقابلة، فهو قرار لا رجعة فيه، بل أصبحت مسألة "نيف" ، وقد اعتبر الأمير هذا الرفض إهانة و تمردا، وفهم أن تراجعه سيشكل سابقة أمام القبائل الصحراوية.[36]

قام الأمير بقطع المياه على السكان كوسيلة ضغط، إلا أنه اكتشف فيما بعد أن قصر عين ماضي مزود بآبار داخلية، مما يدل على ان المدينة كانت مستعدة

خاصة انها تعرضت لعدة حملات من الترك، ولربما قد تم تجهيز تلك الآبار في أيام الحصار على حساب الروايات المتواترة، حينها أمر الأمير بالهجوم على أسوار الحدائق، مما أدى إلى وقوع اشتباكات، أسفرت عن قتل ستة أشخاص في صفوف أتباع التجاني وعدد كبير من جند الأمير، قدره ليون روش بـ 80 قتيلا و مائة و خمسة وثمانين جريحا [37]، تمكن على إثر ذلك جيش الأمير من الاستيلاء على الحدائق بعد أن أحرقت وقطعت أشجارها، عندما حاول أهل عين ماضي توقيف القتال وبادروا بتقديم الهدايا إلى الأمير ، و أعلنوا له استعدادهم لقبول شروطه باستثناء تسليم التجاني، فرفض الأمير عرضهم و أصر على مواصلة الهجوم ما لم يخرج إليه التجاني بنفسه، فتجددت الاشتباكات خلال شهري أوت و سبتمبر، أودت بحياة 8 أشخاص من سكان عين ماضي بينما أشار ليون روش إلى أن الخسائر البشرية كانت محسوسة.

وقد بادر الشيخ محمد الحبيب التجاني – بسبب ارتفاع القتلى- بعرض مالي قدره عشرون ألف ريال أي ما يعادل (37.200 فرنك) كمساهمة في الجهاد، مقابل رفع الحصار على أن يدفع نصف المبلغ مباشرة و الجزء المتبقي تعطى لهم مهلة لتوفيره و كضمان على حسن النية قدم سكان عين ماضي ما قيمته ألف ريال كخدمات لجيش الأمير، مع عشر رهائن من أبناء أعيان عين ماضي[38].

وعلى ضوء هذه المستجدات وافق الأمير على عرض التجاني، خصوصا وإن الذخيرة قد نفذت، ولم يعد باستطاعة الأمير مواصلة القتال، وتعرضت قوافل الإمدادات و المؤن الغذائية للنهب من قبل إحدى قبائل الأرباع الموالية للتجاني، الأمر الذي دفع الأمير إلى تخصيص حوالي ألفي رجل من قواته لحماية قوافله[39]، وخاض معارك دموية قرب تاجموت ضد الأرباع لاسترداد قوافله المنهوبة، مما يبين أن الأمير كان في وضعية لا يحسد عليها، بل كاد يتراجع لولا الإمدادات التي وصلته من المغرب والمتمثلة في أربعة مدافع و بعض الذخيرة منها 150 قنبلة، إلى جانب امدادات أخرى

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

بعث بها الحاكم العام المارشال فالي و المتضمنة ثلاثة مدافع حصار وأربعمائة قنبلة وفقا لبنود معاهدة التافنة بين الطرفين [40].

بدأت الأزمة تسير نحو الانفراج، وخيم الهدوء مدة عشرين يوما، تبادل خلالها الطرفان المبيعات، ولكن الهدنة لم تعمر بين الطرفين أكثر من ذلك، حتى عاد الاقتتال من جديد، حيث طلب الأمير السماح له رفقة جنده أداء صلاة الجمعة داخل مسجد الزاوية، غير أن التجاني تخوف من هذا الطلب المحرج واعتذر بحجة أن مسجد الزاوية لا يتسع لعدد كبير، وقد اعتبر الأمير هذا الرفض بمثابة تراجعا عن النتائج المتوصل إليها، و أمر باستئناف مهاجمة القصر و تضييق الخناق على أهله، لاسيما بعد وصول الإمدادات النوعية المذكورة آنفا، و ارتفاع عدد جنده بوصول 150 فارسا و 3000 متطوعا من مختلف القبائل، ليصل هذا العدد إلى أكثر من 8000، وهكذا فقد أصبح ميزان القوة كفيلا بحسم المعركة لصالح الأمير، ونشط روش بمساعدة أحد الفارين من الجيش الفرنسي في لتلغيم أسوار القصر مستغلين الذخيرة التي وصلت إلى الأمير، في الوقت الذي كانت فيه الاشتباكات مستمرة[41].

وفي المقابل كانت الذخيرة تتسرب إلى أهل عين ماضي ليلا عن طريق الموالين لها من سكان الجنوب إلا أنها لم تكن كافية، ولهذا أوفد التجاني مفاوضه " الريان " إلى الأمير حاملا إليه بعض الهدايا، و معلنا رغبة التجاني في التوصل إلى حل لفض النزاع، وفي هذه الأثناء كان محمد السعيد قد جاء من معسكر، بعد أن أقلقه غياب الأمير وتورطه في نزاع أنهك قوى جيشه، و لما استمع محمد السعيد لتقرير روش حول تلغيم القصر، خشي من سقوط أرواح الأبرياء، فأقنع الأمير بضرورة تأجيل تنفيذ العملية، و إعطائه فرصة التفاوض مع محمد الحبيب التجاني.[42]

د) نهاية الحصار وتخريب قصر عين ماضي: يذكر المزاري في " طلوع سعد السعود " أن الأمير بعث من العلماء و المرابطين و معهم صهره و خليفته الحاج مصطفى بن التهامي ... فدخلوها بالإذن من صاحبها و قالوا له أن الأمير المجاهد في سبيل الله لم يرد مقاتلتك و لا العتو عليك، و إنما أنت أبيت من دخوله عليك، لأن النصارى إذا سمعوا بمقاتلتكما يضحكون عليه و عليك... و أراد الدخول إلى المدينة بجيشه ويمكث بها أياما للتعبد والصلاة بمسجدها، وتأمين جيشك و جيشه ثم يذهب لمقاتلة العدو الذي بغى عليه، فرضي التجاني بذلك»[43]، وكان اللقاء بين شقيق الأمير و محمد الحبيب التجاني بتاريخ: بتاريخ 02 رمضان 1254هـ الموافق لـ 19 نوفمبر 1838.[44]

و قد عبر " تشرتشل " عن هذا الخيار والظرف الذي كان فيه الأمير بقوله: "وكان قلق عبد القادر شديدا، لقد سبق له في كثير من المناسبات أن واجه الصعوبات والمشاكل، ولكن لم يسبق له أبدا أن دخل في صراع، له عواقب هامة كهذا الصراع، إنه يعلم أنه إذا اعترف بفشله برفع الحصار فإن جميع الصحراء ستبقى خارجة عنه لذلك أعلن أنه يفضل الموت حيث هو على الاستسلام" [45]، والأمير نفسه يعبر عن هذا الخيار، فيقول: "... فخفنا إن أهملنا أمرهم، من سريان هذا الفساد (شق عصا المسامين) إلى غيرهم، فيفوت المقصود..." [46].

فتحت المفاوضات بين الأمير والتجاني، حيث دامت بضعة أيام لعب فيها محمد السعيد شقيق الأمير ومصطفى بن التهامي صهر وخليفة الأمير على معسكر دورا واستطاع أن يقنعا كل من التجاني والأمير على ضرورة التوصل إلى حل وسط يرضي الجميع، فالتجاني من جهته تنازل على فكرة عدم السماح للأمير وجنده بدخول قصره، وفي نفس الوقت اعترف له بحقه في رفض مقابلة الأمير، وتنازل الأمير عن شرطة القاضي بمجيء التجاني إلى خيمته لإعلان الولاء، وتوصل الطرفان إلى

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

عقد اتفاقية نهائية وذلك يوم5 رمضان 1234هـ الموافق ل 22 نوفمبر 1838م [47] على ما يأتي:

- يخلي التجاني قصر عين ماضي في مدة أقصاها 40 يوما من تاريخ رفع الحصار.
- يرفع الأمير الحصار وينسحب مسافة 8 أميال عن عين ماضي، لتمكين التجاني واتباعه من إخلاء القصر.
- يدفع التجاني مصاريف الحصار للأمير عبد القادر.
- للتجاني الحق في حمل كل ما يريد، من أملاكه المنقولة دون استثناء.
- لأهل عين ماضي حرية البقاء أو مرافقة التجاني وأخذ أموالهم وأسلحتهم دون اعتراض.
- يقدم التجاني ابنه رهينة كضمان لتنفيذ بنود الاتفاقية.[48]

وهكذا تم الأمر بتاريخ 02رمضان1254 هـ الموافق ل 22نوفمبر1838 م التزم الطرفان بتنفيذ بنود الاتفاقية، ففي الآجال المحددة أخلى التجاني عين ماضي واختار الإقامة في الأغواط وخرج معه عدد كبير من انصاره) [49]، في حين كان الأمير قد رفع حصاره عن عين ماضي في 2 ديسمبر 1838م، ووفر كل الأجواء لتمكين التجاني وأتباعه من الرحيل في سلام، ويذكر " أرنو " أن الأمير قد وفر 250جملا و40 هودجا وحصانين وبغلين لحمل عائلته وأملاكه [50]، وقد لجأ محمد الحبيب إلى القرارة في وادي ميزاب.[51]

دخل الأمير إلى قصر عين ماضي دون مقاومة يوم 13 جانفي 1839 ، وبعد معاينة القصر أمر الأمير ليون روش بنسف أسواره، و قد تم ذلك أمام مرأى من

الأمير و آلاف الأشخاص [52] لكن دون أن يلحق الضرر بالزاوية التجانية[53] وهو ما يعد إخلالا بالاتفاقية المبرمة بين الطرفين، كما أرسل خلفاءه ووكلاءه في الجزائر ووهران، أطلعهم على نتائج الحصار وهذا نصها:

«الحمد لله وصلى الله على من لا نبي بعده، وبعد، فإن الله تعالى، منذ ولانا أمر المسلمين، والنظر في مصالحهم، لم نزل نجتهد، ونسعى في تأليف قلوبهم، على الاتحاد والخضوع لشريعة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) لقوله عز وجل: «ولا تنازعوا فتفشلوا، وتذهب ريحكم به»، وقد توجهنا هذه المرة، إلى بلاد الأغواط، لجمع كلمتهم، وإصلاح فسادهم، فأظهر عامة أهلها، غاية الطاعة والانقياد، إلا ما كان من التجاني، ومن انتهى إليه تجاهروا بالشقاق، وتظاهروا بالتصدي عن الوفاق فأمرناهم بالرجوع الى الحق وحذرناهم من شق عصا المسلمين، غير مرة، وناشدناهم الله، في صون دمائهم وأعراضهم فلم يرجعوا عن غيهم، فيفوت المقصود، الذي هو جمع الأمة، على كلمة واحدة وطريقة متحدة، فأخذنا في حصار حصنهم، والتضييق عليهم، ولما استشرفوا على الردى وكادت أن تعمل فيهم المدي، طلبوا منا الأمان - مع أنهم خدعونا مرات عديدة، فمنحناهم الصفح الجميل، صونا لدمائهم، وحفاظا لأعراضهم لقوله تعالى:".. فاعفوا و اصفحوا " و أمناهم على أن يخرجوا من الحصن، و يتوجهوا حيث شاءوا، فخرجوا كلهم منه إلا المستضعفين منهم، و ذهب التجاني وحريمه وأولاده الى الأغواط الغرابة، و بقي ابنه الكبير رهنا عندنا فالحمد لله، الذي أيدنا بنصره، على من عصى أمره ،و لا رب غيره و لا معبود سواه [54].

وفور صدور هذا الكتاب أرسلت بعض القبائل المجاورة لحصن عين ماضي بالزكاة و العشور للأمير، بينما رفضت قبائل أخرى ،[55] ويبدو أن الأمير كان ينوي الاحتفاظ بعين ماضي و يترك بها حامية إلا أنه تراجع عن هذا المشروع [56] وذلك بسبب علم الأمير بأن التجاني لن يهدأ له بال، إلا إذا استرجع قصر أبيه وأجداده، وبالتالي

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

سيستعملها مجددا في الثورة على الأمير، كما أن هدم قصر عين ماضي فيه عبرة للقبائل الصحراوية.

هـ) الموقف الفرنسي من صراع الأمير عبد القادر ومحمد الصغير التجاني:

اهتمت فرنسا منذ البداية بالصراع الذي دار بين الأمير ومحمد الحبيب التجاني وبقيت تترقب نتائجه، فقد حاولت إذكاء نار الفتنة بين الطرفين، كما استغلت هذه الفرصة لكي تلين من موقف الأمير اتجاه معاهدة التافنة ولذلك أهداه الحاكم العام الجنرال فالي Valee ثلاث مدافع بذخيرتها، و بالتالي هي فرصة فرنسا لضرب إمكانيات المقاومة بعضها البعض، الأمير الذي يعتبر عدو لهم و إجباره على التنازل عن بعض بنود معاهدة التافنة والقضاء على مرابط قوي يمكن أن يكون خصما عنيدا و ثائرا في المستقبل[57].

حاولت فرنسا الاستعلام من خلال رسالة بعثها أمحمد المزاري ردا على طلب المارشال كلوزيل، هذا نصها: الحمد الله وحده المعظم الأرفع والهمام الأنفع، محبنا وأعز ما لدينا الماريشال كلوزيل السلام عليك وعلى كافة من أنضم إليك، ألا أنه ورد علينا كتابك الأعز وخطابك الأوجز فاستفدنا منه صحتك وسلامتك، فالحمد لله على ذلك ونخبرك على الحاج عبد القادر مازال في عين ماضي، وعسكر الحاج عبد القادر مدور بالبلاد بالعسة إلا من جهة (كذا) القبلة لم يكن عليها عسة وأهل عين ماضي لم يضرهم شي (كذا) ولم يخصهم إلا الحطب والملح فقط ونحو أربعة مائة من عسكر الأرباع عند التجاني يحاربون معه، وأما الأعراش الذين كانوا مع الحاج عبد القادر كلهم افترقوا عليه ما بقي إلا شيخ أولاد خليف، و شيخ أولاد شعيب وزوج أشيخ (كذا) أنتاع الأحرار وشيخ أولاد شريف، باقين مع الحاج عبد القادر بخيولهم

فقط لم يكن معهم الجيش هذا الخبر صحيح والسلام، في 10 من شهر الله المعظم رمضان عام 1254هـ بأمر محمد المزاري"[58]

إلى جانب ذلك اهتم الفرنسيون بجمع الأخبار والمعلومات عن عين ماضي، منها تلك التقارير التي سجلوها على لسان مصطفى بن إسماعيل، تضمنت نبذة تاريخية عن مؤسس الطريقة وصمود عين ماضي في وجه البايات العثمانيين، وقد تناولت الصحف الفرنسية موضوع حصار عين ماضي بكثير من التحامل والمبالغة والتشكيك في سلطة الأمير، وأطلقت العنان للأكاذيب دون تقص للحقائق وهي في ذلك تعبر عن وجهة نظر السلطة الاستعمارية، التي كانت تتحين الفرص لنقض معاهدة التافنة، في حين كان الأمير كلما اطلع على هذه الجرائد إلا وتأسف عن تلك الأكاذيب، خاصة لما أطلع على البعض منها وهو في عين ماضي.[59]

و في الحقيقة فإن كل ذلك الصراع والنزاع الذي كان بين الأمير عبد القادر والشيخ التجاني ما هو سوى مؤامرة أحبك خيوطها" ليون روش " ، وقد اعترف الأمير عبد القادر بذلك والدليل على ذلك تلك الرسالة التي بعثها الأمير عبد القادر إلى الشيخ التجاني، و بها هدية ممثلة في سيف الأمير و علمين كعربون للصداقة و الأخوة ، وقد حملها إليه ابنه (ابن التجاني) الذي كان رهينة عند الأمير حيث أبدى الأمير اعتذاره وتأسفه لما حصل: " الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد و آله وصحبه وسلم، وبعد إلى السيد محمد الحبيب ابن العلامة من السيد أحمد التجاني، لقد وصلني جوابك الذي لا إماء (كذا) وبعد أن عجزت عن الولوج داخل حصنكم وبعد أن أدركت حقيقتكم وعلمت أن ما دار بيننا هو وشاية فقط وتدخل الفتانيين بينا ولهذا فإني أرجوا عفوكم عنا، وهذه هدية تصلكم وهي متواضعة مع ابنكم أحمد عساها تجدد الروابط الأخوية بينا. من الفقير إلى مولاه (كذا) كثير الذنوب والأوزار

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

عبد القادر محي الدين بن المصطفى بن المختار عامله بلطفه في الدنيا ودار الموتى، ثلاث وعشرين من ذي القعدة عام أربع وخمسين ومائتين وألف السلام".[60]

ثالثا: نتائج الصراع بين الأمير والتجاني:

1/ هدر الإمكانيات وتشتت المقاومة:

عرفت الأغواط اضطرابات عنيفة خلال الفترة الممتدة بين"1838-1842"بسبب علاقتها المتذبذبة مع الأمير عبد القادر بعد حصاره لقصر عين ماضي وتخريبه لمدينة التجانيين والذي كانت نتائجه المستقبلية وخيمة على المنطقة فلم تتوقف على هدر الامكانيات المادية والبشرية فحسب، بل جعل المنطقة مهيئة لما يعرف بالقابلية للاستعمار، وقد أكد سانت أرنو حيث هذه الحقيقة في قوله:" إن ما تعرضت له المنطقة من حصار ضد عين ماضي، كان سببا في تمرد القبائل وجعلها تعترف بسيطرتنا بسهولة"، كما يقول " لو نجح الأمير في إقناع التجاني الذي لديه قوة معنوية كبيرة إلى صفه، لاشك أنه سيخلق لنا مشاكل جدية ..." [61].

لقد أهدر هذا الصراع الذي دام من 12 جوان إلى غاية 12 جانفي الموالي إمكانات هامة يتحمل مسؤوليتها طرفا النزاع، فالتجاني بقي ينظر لعامله الخارجي إلا بمنظاره، في حين انبهر الأمير بانتصاراته، السابقة ولم يراع خصوصيات المنطقة عند تعيينه للحاج العربي، وعليه يمكن القول إن الأمير لم يحسن الاختيار، إضافة إلى اعتماده على ليون روش - هذا الجاسوس الذي استطاع أن يتسرب إلى صفوف الأمير مما مكنه من التأثير في صنع القرار، وقد استثمر لقاءه بالتجاني، واستطاع التأثير على الطرفين معا لما كان يملكه من ذكاء وفطنة، كما أن وضع الأمير في المنطقة بدأ

يسوء بسبب الهزائم المتتابعة لحلفائه أمام بن سالم والتجاني وكلها عوامل كان له نتائج كارثية على الطرفين[62].

لا شك أن النتائج التي آل إليها هذا الصراع، تبين لنا أن المستفيد الوحيد هو العدو الفرنسي ففي الوقت الذي انشغل فيه الأمير بعين ماضي، انتهز الفرنسيون الفرصة وشيدوا مركزا لهم في عنابة وقالمة وميلة وامتدت يدهم إلى جيجل والقل وسكيكدة، وبينما كان القتال في الصحراء على أشده كانت الجيوش الفرنسية تتقدم شيئا فشيئا.[63]

كان التجانيون يسعون إلى بناء منطقة نفوذ في الجنوب دون اللجوء إلى تحالف مع أي كان، غير أن الحصار العسكري الذي ضربة الأمير عبد القادر على عين ماضي ثم تخريبه لها، جعل التجانيين يقتنعون أنه لا يمكنهم تحقيق أمنيتهم إلا في إطار تحالف بل إن الإمدادات التي تحصل عليها الأمير من الحاكم العام الفرنسي فالي بمقتضى معاهدة التافنة، اتخذها التجانيون حجة لمحاولة الاستفادة هم أيضا من سلطة الاحتلال ويمكن ترجمة هذا التوجه في تلك الاتصالات التي تمت بين محمد الصغير التجاني شيخ زاوية عين ماضي ما بين (1827-1853) والحاكم العام فالي مباشرة بعد سقوط عين ماضي في يد الأمير، إبان شهر جانفي 1839،[64] كما سيتبين لنا لاحقا.

2/ هجوم الأمير على قبائل الأغواط:

بقيت سلطة الأمير عبد القادر في هذه المناطق مهلهلة وذلك لأن الثقة قد فقدت بين الشيخ التجاني والأمير عبد القادر خاصة بعد تهديم هذا الأخير لحصون عين ماضي ، بالإضافة إلى دور أحمد بن سالم و سياسته اتجاه أهل الأغواط و عدم تفاهمه مع خليفة الأمير الحاج العربي ، و كذا استئناف الأمير عبد القادر الحرب

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ضد فرنسا، و ذلك ما ساعد خصوم الأمير على التحرك ضده فما كان من الأمير إلا أن ينفذ وعده لتهدئة الأوضاع و يمنح سلطة الأغواط إلى أحمد بن سالم ، غير أن ذلك كان مؤقتا.

حيث لم يبق الأمير عبد القادر إلا أربعة أيام من بعد نسفه لأسوار عين ماضي ثم انتقل إلى تاقدامت ومنها إلى معسكر للوقوف على شؤون دولته، لكن بعد أسابيع قليلة قرر مباغتة قبائل الأغواط الغرابة لعدم امتثالهم لطاعته، بالإضافة إلى امتناعهم عن دفع الزكاة والعشور ومهاجمتهم لقوافله بالنهب والسطو اتصالهم بالفرنسيين ومساندتهم للتجاني أثناء الحصار.

خرج الأمير على رأس خمسة ألاف فارس، دون أن يعلم أحد منهم بوجهته، فسار بهم مدة أربعة أيام، لا يتوقف إلا لأخذ الراحة، وفي فجر اليوم الخامس وصل الأمير إلى قبائل الأغواط المرتحلة و كانت من حوالي عشرة آلاف خيمة فلم يستيقظوا إلا تحت دوي الفرسان، فنشر في وسطهم الفوضى و الذعر مندهشين من شدة الفزع و الهول، و كان الأمير ينبه و يحث فرسانه بأن لا يعرضوا للحريم، أما الرجال فيعاملون بما يستحقون [65] ، حيث تمكن فرسان الأمير بسرعة فائقة النيل من رجال القبائل، و جمعوا شيوخهم بين أيدي الأمير وهم في حالة من الذلة و الهون معلنين الطاعة و الولاء، آملين الصفح الجميل، فعفى و أصفح عنهم الأمير و دفعوا له زكاة وعشور خمس سنوات المتأخرة، حيث قدموا له أربعة آلاف جمل و ثلاثين ألف رأس غنم، عندها عاد الأمير إلى الشمال، يؤكد صاحب " تحفة الزائر " أن هذه القبائل : « ..كانوا بعد ذلك من أشد القوم تمسكا بالأمير وأكملهم طاعة له» [66] أو كما عبر عن ذلك " تشرتشل" في كتابه " حياة الأمير عبد القادر ": « فأصبحوا منذئذ أكثر أتباع

عبد القادر إخلاصا له و ظلوا كذلك إلى آخر لحظة"[67]، ونجد في كتاب وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب لقدور بن محمد بن أرويلة ذكرا لأسماء أغواطيين بنسبتهم (الأغواطي) في جيش الأمير عبد القادر وضمن 800 شخص التي ذكرها قدور بن أرويلة في ديوان العسكر المحمدي المليانى، مثل صالح بن محمد البغايلي الأغواطي وعلي بن أحمد الأغواطي وجلول بلخير الأغواطي.[68]

الخاتمة

شكل الخلاف بين الأمير عبد القادر والشيخ محمد الحبيب التجاني، نقطة تحول في مسار الأحداث التاريخية بعد ذلك، على أن الأسباب الحقيقة تعود كلها في الأصل إلى المؤامرات الفرنسية والدسائس التى أحبك خيوطها الجاسوس" ليون روش" المندس في صفوف الأمير، حيث كانت قدرات كبيرة على المناورة وتأجيج الوضع، وعمل بكل ما يملك على توسيع الهوة بين الطرفين.

كما أن الصراع الفكري بين قطبي الطريقة التجانية والقادرية سرع الأحداث لما سارت له، فكلا منها يرى نفسه زعيماً روحياً لايمكن أن يتنازل عن القيادة لغيره وبهذا راح كل طرف يصوغ المبررات الشرعية والتاريخية لسلوكه .

ساهم هذا الخلاف التاريخي بين الأمير ومحمد الحبيب في خدمة الطرف الفرنسي بشكل كبير، حيث ركزت جهودها على القضاء على جبهة أحمد باى، وتعزيز قدراتها القتالية وتكييفها وإعدادها للمحطات القادمة.

المراجع:

[1]- يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2005، ص143-145.

[2]- بلغ عدد مقاطعات الأمير عبد القادر في أوج قوته 8 مقاطعات، وقد كان يعين على رأس كل مقاطعة حاكما باسم " الخليفة" وعادة ما يكون ذا مركز اجتماعي قوي في منطقته، وكان ذا اختصاصات عديدة في حدود

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مقاطعته وهو المسؤول عن جمع الضرائب والزكاة كما يحتفظ بجيش في ولايته. أنظر: إسماعيل العربي، حكومة الأمير عبد القادر إدارتها وميامها، مجلة الثقافة، ع75، س1983، ص224.

[3]- محمد العربي سعودي، المؤسسات المحلية في الجزائر الولاية والبلدية 1516-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2011، ص101. مالتسان هاينريش فون ، ثلاث سنوات في شمال غرب افريقيا، تر، أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2008، ص209-210.

[4]- سعد الله، الحركة الوطنية،دار الغرب الإسلامي، 2007 ج1، ص202.

[5]- شارلز هنري تشرتشل، حياة الأمير عبدالقادر، تر و تح وتع: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009. مياسي إبراهيم ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص92. سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص202-203. طالبي عطاء الله ، صور من الحياة الثقافية في مدينة الاغواط بين القرنيين 18م20 ، أعمال الملتقى الأول لاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الاغواط مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الاغواط ، 14-16افريل 1998، ص23. أنظر أيضا:

Mangine (E) ,Not sur l'histoire de Laghouat ,R.A , V37 ,1893.

p79-80.

[6]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تع محمود حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1964م، ج1، ص291.

[7]-المصدر نفسه، ص 292.

[8]- تشرتشل، مصدر سابق، ص173. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص92.

[9]- بنيامين كلود بروور، صحراء اسمها السلام عنف الامبراطورية الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1902، تر: أمين الأيوبي، ابن النديم للنشر والتوزيع، 2020، ص81. العروسي الصادق بن أحمد ، العرف الرياحيني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني، مر و تص: أحمد العروسي التجاني، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 2015، ص 62-63. سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص202-203.

[10]- ROCHES Leon, trente-deux ans, à travers l'Islam 1832-1864, Librairie, de Firmin Didot Paris 1884.P 290.

[11] - MANGIN, Op. cit, p 79-80. fromentin Eugene, sahara et sahel , un été dans le sahara une anne dans le sahel,1887, p 83

[12]- سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص202-203. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص93.

[13] -بوقرين عيسى ، انتفاضة بن الناصر بن شهرة 1851-1875، رسالة ماجيستير غ م ، جامعة الجزائر، 2010، ص31.

[14] - المزاري الآغا ابن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى آخر القرن 18، تح: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 ، ج2، ص173. مياسي ، الاحتلال الفرنسي...، نفس المرجع ،ص94. سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص203. النوري حمو محمد عيسى، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، دار مساحات المعرفة، الجزائر، 2015، ج1، ص259. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص94. أنظر أيضا:

[15] - سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص 204. تشرتشل، مصدر سابق، ص172.

[16] - يحي بوعزيز، وثائق جديدة حول محاربة الأمير عبد القادر للشيخ التجاني ، المجلة التاريخية المغربية، ع 55-56 ، س 16، تونس 1989، ص 237.

[17]- Arnaud S. , Siege d'Ain Madi, par El HADJ-ABDELKADER Ben Mahdine. R A, , V 47, Mars 1864, p 364.

[18] - تشرتشل ، مصدر سابق، ص 174.

[19] - يحي بوعزيز، وثائق جديدة، مرجع سابق، ص 288-237.

[20] - الأمير عبد القادر ، مذكرات الأمير عبد القادر، دار الأمة، الجزائر، 2004، ص18.

[21] - تشرشل ، مصدر سابق ، ص 175.

[22] - محمد الحافظ المصري التجاني، الانتصاف في رد الافتراء على السادة التجانية، منشورات الزاوية التجانية بتماسين ، الوادي، الجزائر، 2007، ص 30-31 .بن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر"1782-1900"، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998، ص168.

[23] - بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص168-169. عيسى بوقرين، مرجع سابق، ص38.

[24]- Arnaud, Siege d'Ain Madi, OP.CIT, p 365.

[25] - بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص 166-168.

[26] - سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص203.

[27] ARNAUD , OP.CIT T7, p 366.

[28] - تشرتشل، مصدر سابق، ص173. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص94.

[29] - محمد ابن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ج1، ص 301.

[30]-ARNAUD , OP.CIT T7, p 368

[31]-ARNAUD , OP.CIT.p 368. 204 إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص94. سعد الله، الحركة الوطنية، ج1،

[32] - العروسي، مصدر سابق، ص63.سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص205.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

[33]- ليون روش : ولد ب غرونبل بفرنسا في 27 سبتمبر 1809، من أبوين فرنسيين، درس في مسقط رأسه و اتجها في تورين، كان واسع الطموح، ميالا للمغامرة، انقطع عن الدراسة و اتصل بأحد التجار بمدينة مرسيليا و كان أبوه ملحقا بخدمات العتاد العسكري بالجزائر منذ الحملة الفرنسية 1830م. و نظرا لتعدد مهامه أرسل الى ابنه لمساعدته، فلبى هذا الأخير طلبه و وصل الى الجزائر عام 1832م/1248هـ. تعلم اللغة العربية و التحق بالأمير بعد أن تظاهر باعتناق الإسلام، و انتحل إسم عمر، فامن الأمير جانبه و قربه منه، عينه في منصب كاتب سر، تخلى عن اسلامه، بعد أن أتم مهمته الجوسسية التي انتدب من أجلها و التحق بالجيش الفرنسي بوهران في نوفمبر 1839م توفي في 26 جوان 1901 بغرونبل - له كتاب عنوانه :" trente-deux ans à travers l'Islam " أنظر : يوسف مناصرية : مهمة ليـون روش في الجزائر و المغرب (1822-1847)، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1990، ص13 وما بعدها.

[34]- ARNAUD , OP.CIT , P 366.

[35]- ROCHES : OP.CIT. p 302.

[36]-ibid .p 367. تشرتشل، مرجع سابق، ص173-174 .

[37]-ROCHES : OP.CIT. p 306. ARNAUD : OP.CIT. p 367.

[38]-ARNAUD , OP.CIT ,p 370.

[39]-تشرتشل، مصدرسابق ، ص 174.

[40]- تشرتشل: مصدرسابق، ، ص 174. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص96. أنظر أيضا:

-ROCHES , OP.CIT, p 312.

[41]-ARNAUD , OP.CIT. T8. p 425.

[42] - ARNAUD , Ibid, T8 p338-340. ROCHES , OP. CIT : p 324-324

[43]- المزاري، مصدرسابق، ج2، ص173.

[44]-محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدرسابق، ج1، ص 302 . أنظر أيضا:

L. ROCHES : OP.CIT. p 325.

[45]- تشرتشل، مصدرسابق، ص 174. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص95.

[46]- محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدرسابق ،ج1، ص 303.

[47]- ROCHES, ROCHES , OP. CIT , p 328.

[48]- محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ، ج1، ص 302. تشرتشل، مصدر سابق، ص175-176إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص96. .أيضا : L. ROCHES : OP. CIT. P 327-328.

[49]- محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ،ج1، ص 302. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص96.

[50]-ARNAUD : OP.CIT T8. P447.

[51]- العروسي، مصدر سابق، ص93.

[52]- المزاري، مصدر سابق، ج2، ص 173. فون مالتسان، مصدر سابق، ص228. العروسي، مصدر سابق، ص65-66. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص97.

[53]-ROCHES : OP.CIT. P 361 .

[54]- محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ،ج1، ص 303 . تشرتشل، مصدر سابق، ص175-176.

[55]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص97.

[56]-ROCHES , OP. CIT , p 360,

[57]- تشرتشل، مصدر سابق، ص174. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص96.

[58]- جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن 19 عشر (1830-1914)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط5، 2016، ص 104. يحي بوعزيز، وثائق جديدة ، مرجع سابق، ص 228.

[59]- بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص190-192.

[60]- رسالة موجودة بزاوية عين ماضي، ولا زالت النسخة الأصلية محفوظة في زاوية عين ماضي تحمل في أعلاها ختم الأمير عبد القادر بن محي الدين، أما الهدية المشار إليها في الرسالة: عبارة عن سيف وعلمين لا يزالان إلى اليوم في زاوية عين ماضي. أنظر: بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص194.

[61]-Arnaud , OP.CIT, P 364.

[62]-فون مالتسان، مصدر سابق، ص210.

[63]- حكوم سليمان بن محمد ، ورقلة المجاهدة مع موجز لتاريخ ورقلة من سقوط سدراته إلى الاستقلال على ضوء الوثائق وذاكرة المجاهدين، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر، 2016، ص81.

[64]- بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص200.

[65]- محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ،ج1، ص 305 . تشرتشل، مصدر سابق، ص177-178.

[66]- محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ،ج1، ص 305.

[67]- تشرتشل، مصدر سابق، ص178.

[68]- قدور بن محمد بن أرويلة، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تح محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الجزائر، 2017، ص 104، ص 110، ص 132.